الفصل الثاني

أنـــواع المضحكـــين

ظهر فى العصر الأموى والعصر العباسى أنواع مختلفة من المضحكين، فهناك مضحكو الخلفاء والخاصة – وهذه الطائفة من المضحكين لم تظهر إلا فى العصر العباسى بتأثير فارسى - ، وهناك مضحكو العامة ومضحكو الخلفاء وعلية القوم فى الوقت نفسه، وهناك الحمقى المضحكون، وهناك المخنثون المضحكون، وهناك رجال ظراف اختارهم الخلفاء فى بطانتهم للائتناس بصحبتهم وللاستمتاع بفكاهاتهم.

وسوف نتناول فى الصفحات التالية هذه الطوائف المتنوعة من المضحكين.

مضحكو الخلفاء وعلية الناس

قلنا: إن هذه الطائفة من المضحكين لم تظهر إلا فى العصر العباسى الأول، بتأثر واضح بمراسيم الحكم الفارسى الساسانى، فقد كان المضحك من بطانة الأكاسرة، ولعل اعتماد العباسيين الأوائل على رجال من الفرس فى تسيير دولتهم، وبخاصة فى منصب الوزارة، كان من آثاره نقل العديد من مراسيم الحكم الفارسى إلى العباسيين، ومنها وجود شخصية المضحك فى بلاط الخليفة العباسى.

وكان هناك مضحكون ملاصقون للخلفاء العباسيين. ولأن الخلفاء العباسيين الأوائل – أبى العباس السفاح والمنصور والمهدى - غلبت عليهم الروح الجدية – فهم ينشئون دولة جديدة–، فقد كان المضحكون فى بلاطهم أعدادًا قليلة، ولكننا مع خلافة الرشيد ومن جاء بعده، وبخاصة المتوكل، نجد المضحكين يزدادون فى بلاط الخليفة العباسى.

وفى الغالب كان مضحكو الخلفاء يصاحبون كبار القوم فى الدولة العباسية، ويضحكونهم أيضًا، وأحيانًا ينغمسون مع أبناء الشعب البسطاء وتدور لهم حكايات مضحكة معهم.

وإذًا فلم يكن مضحكو الخلفاء العباسيين منقطعين انقطاعًا كاملاً لهم، ولكنهم كانوا كثيرى التواجد فى قصورهم، وأكثر فكاهاتهم ونوادرهم تدور معهم أو فى جوارهم كما سوف نرى.

ولعل أبا دلامة أن يكون أول مضحك ظهر فى بلاط الخلفاء العباسيين الأوائل، وقد قربه إليه أبو العباس السفاح والمنصور والمهدى، وله معهم حكايات ونوادر طريفة.

وكان من وسائل أبى دلامة فى إضحاكه الخلفاء وكبار القوم فى الدولة العباسية – شعره الساخر الكاريكاتورى[1]، واستخدم معه وسائل أخرى عديدة – سوف نذكرها فيما بعد – فى تسلية الخلفاء ومن حولهم من علية الناس فى الدولة العباسية.

ومما يدل على مكانة أبى دلامة الكبيرة عند الخلفاء العباسيين الأوائل أنه كان لا يحجب عنهم، ويطالبونه بالحضور إليهم، ولكنه كان أحيانًا يتهرب من هذا، حتى لا يضطر للامتناع عن شرب الخمر التى يعشقها، وحتى لا يضطر لأداء فرائض الدين كالمواظبة على الصلاة وغيرها من فرائضه، كما نرى فى ذلك الخبر.

---

(١) المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٢١٣.

"قال له السفاح: ما لك تحيد عن مجالستنا وتهرب من مؤانستنا؟ قال: والله، يا أمير المؤمنين، إن الفضل والشرف والعز والخير كله فى الوقوف ببابك ولزوم خدمتك، ولكن نكره أن تملونا، فتنغص أنفسنا من أجل ذلك، فقال أبو العباس: لا والله ما ذلك كما ذكرت، ولا مللتك قط، وإنك لتعلم ذلك، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين ومجالسة أهل المجون، ثم أمره بلزوم قصره، ووكل به من يمنعه الخروج، وأمره بملازمة المسجد الذى يصلى فيه السفاح"[1].

وإلى جانب الخلفاء العباسيين الأوائل – السفاح والمنصور والمهدى- فقد كان كبار رجال الدولة العباسية يرغبون فى الائتناس بصحبة أبى دلامة فى إقامتهم وأسفارهم كما نرى فى هذا الخبر.

"وأراد موسى بن داود الخروج إلى الحج، فقال لأبى دلامة: تأهب حتى تخرج معى فى هذا الوجه، وأعطاه عشرة آلاف درهمٍ، وقال له: خلف لعيالك ما يكفيهم واخرج، وإنما أراد أن يأنس به فى طريقه بحديثه وأشعاره ونوادره.

فلما حضر خروج موسى هرب أبو دلامة إلى سواد الكوفه. فجعل يشرب من خمرها ويتمتع فى نزهها، فسأل عنه فأخبروه باستتاره، فطلبه فلم يقدر عليه، وخاف أن يفوته الحج.

فلما يئس منه قال: دعوه إلى النار وحر سقر وأليم عذابه. فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة قد خرج من قرية يريد أخرى، فبصر به.

---

(١) جمع الجواهر، ص١١٢.

فقال: ائتونى بعدو اللّه الفاجر الكذاب، فر من الحق إلى الباطل، ومن الحج إلى حانات الخمارين، قيدوه وألقوه فى بعض المحامل. ففعل ذلك به، فلما ولت الإبل، صاح أبو دلامة بأعلى صوته:

يأيها الناس قولوا أجمعين معى	صلى الإله على موسى بن داودِ
كأن ديباجتى خديه من ذهب	إذ تشَرَّفَ فى أثوابه السود
أما أبوك فعين الجود نعرفه	وأنت أشبه خلق اللّه بالجود
نبئتُ أن طريق الحج مَعْطشة	من الطلاء وما شربى بتصريد
واللّه ما فىّ من خير فتطلبه	فى المسلمين وما دينى بمحمود
أعوذ بداودٍ وتُرْبته	من أن أحج بكره يابن داود

فقال موسى: ألقوه عن المحمل، فعليه لعنة اللّه، ودعوه يذهب إلى سقر وحر نارها، فألقوه.

ومضى موسى لوجهه، فما زال أبو دلامة يتمتع بالنزه، ويشرب الخمر حتى أتلف العشرة آلاف درهم، وانصرف موسى من حجه، فدخل أبو دلامة يهنئه. فلما رآه قال: أتدرى ما فاتك من الخير؟ فقال: واللّه ما فاتنى خير ليلاً ولا نهارًا – يريد الضرب والقصف – فضحك ووصله"[1].

وكان عند المهدى – إلى جانب أبى دلامة – مضحك آخر اختص به، هو أبو حبيب، فقد ذكر الحصرى القيروانى "كان أبو حبيب مضحك المهدى يحفظ نوادر مزبِّد ويحكيها له فيصله. فقال له مزبد: بأبى أنت؟ أنا أزرع وأنت تحصد"[2].

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٩- ١١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٣٧.

ولم تصلنا أخبار كثيرة عن أبى حبيب هذا بخلاف مضحكين آخرين اختصوا بالخلفاء العباسيين كأبى دلامة وابن أبى مريم المدنى وغيرهما.

ولأن الرشيد فتح مجال اللهو خطوات عما كان عليه الأمر أيام المهدى؛ فلهذا كثر المضحكون فى بلاطه، وكان منهم مضحكون ملازمون له، ومضحكون ظرفاء ضمن بطانته، ويأخذهم معه خلال تجوله متنكرًا فى بغداد كأبى نواس.

إلى جانب أنه كان يأمر بإحضار بعض مضحكى العامة حين سماعه بهم، ليضحكوه، ثم يعودوا بعد ذلك لعملهم الأساسى وهو إضحاك عامة الناس.

ومن المضحكين الذين اختصوا ببلاط الرشيد ابن أبى مريم المدنى[1]، وتروى له هذه النادرة مع الرشيد.

---

(١) ابن أبى مريم المدنى أشهر مضحكى الرشيد، وتروى له نوادر وحكايات طريفة فى قصر الرشيد، انظر: نثر الدر، ٣١٥/٧، ونهاية الأرب، ٤٨/٤- ٤٩، والطبرى: تاريخ الطبرى "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ٣٤٩/٨-٣٥١، وجاء فى كتاب تاريخ الطبرى عن ابن أبى مريم المدنى أنه كان مع الرشيد، "وكان مضحاكًا له محداثًا فكهًا، فكان الرشيد لا يصبر عنه، ولا يملّ محادثته، وكان ممّن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد المجّان، فبلغ من خاصّته بالرشيد أن بوّأه منزلاً فى قصره، وخلفه بحرمه وبطانته وغلمانه" انظر: تاريخ الطبرى، ٣٤٩/٨.

"صلى الرشيد ليله فقرأ ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]؟ وأرتج عليه، فكرر مرارًا، وابن أبى مريم يصلى خلفه، فصاح: لا أدرى والله! فضحك الرشيد حتى قطع صلاته"[2].

وتعليق ابن أبى مريم المدنى على الرشيد هكذا، خلال صلاته حين أرتج عليه فيه جرأة كبيرة، لو فعلها غيره لربما أحفظ عليه الرشيد، ونال شديد العقاب منه، ولكن المضحك فى قصور الخلفاء كان يغتفر له أخطاء لا تغتفر لغيره وإن كان من أشد المقربين من الخليفة العباسى.

وأيضًا ذكر أن المرتمى كان من مضحكى هارون الرشيد، وقد ذكرت له هذه النادرة.

"كان المرتمى- مضحك الرشيد – يأكل قبل طلوع الشمس، فقيل له: لو انتظرت حتى تطلع الشمس! فقال: لعننى الله إن انتظرت غائبًا من وراء سَمَرْقَنْد، لا أدرى ما يحدث عليه فى الطريق"[3].

وكان أبو نواس وغيره من بعض المضحكين والملهين فى صحبة الأمين الذى كان مغرمًا باللهو والعبث.

أما المأمون فقد كان محبًّا للجدال العلمى والفكرى والدينى؛ ولذلك كثر فى مجالسه العلماء وأصحاب الفكر والجدل من المتكلمين والمعتزلة بوجه خاص، فى حين لم يكن له مضحك بعينه يمكن لنا أن نذكره هنا.

---

(١) سورة يس: الآية ٢٢.

(٢) نثر الدر، ٣١٥/٧.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٤.

هذا عن المأمون أما أخوه المعتصم فكان هناك مضحك مختص به يلقب بالهَفْتِىّ، ويروى له مع المعتصم هذا الخبر.

رُوى "أن إبراهيم المعروف بالهفتى – وكان مضحكًا – أمر له المعتصم بمال؛ وتقدم إلى الفضل بن مروان فى إعطائه ذلك، فلم يعطه الفضل ما أمر به المعتصم.

فبينا الهفتى يومًا عند المعتصم، بعد ما بنيت له داره التى ببغداد، واتخذ له فيها بستان، قام المعتصم يتمشى فى البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرياحين والغُروس، ومعه الهفتى، وكان الهفتى يصحب المعتصم قبل أن تفضى الخلافة إليه، فيقول فيما يداعبه: والله لا تفلح أبدًا!

قال: وكان الهفتى رجلاً مربوعًا ذا كُدْنة، والمعتصم رجلاً معرَّقًا[1] خفيف اللحم، فجعل المعتصم يسبق الهفتىَّ فى المشى؛ فإذا تقدمه ولم ير الهفتى معه التفت إليه، فقال له: ما لك لا تمشى! يستعجله المعتصم فى المشى ليلحق به. فلما كثر ذلك من أمر المعتصم على الهفتى، قال له الهفتى، مداعبًا له: كنت أصلحك الله أرانى أماشى خليفة ولم أكن أرانى أماشى فيجًا[2]، والله لا أفلحت!

فضحك منها المعتصم، وقال: ويلك! هل بقى من الفلاح شىء لم أدركه! أبعد الخلافة تقول هذا لى! فقال له الهفتى: أتحسب أنك قد أفلحت الآن! إنما لك من الخلافة الاسم، والله ما يجاوز أمرك أذنيك، وإنما الخليفة الفضل بن مروان، الذى يأمر فينفذ أمره من ساعته، فقال له

---

(١) المعرَّق: القليل اللحم المهزول.

(٢) الفيج: الجماعة من الناس.

المعتصم: وأى أمر لى لا ينفذ! فقال له الهفتى: أمرت لى بكذا وكذا منذ شهرين، فما أعطيت مما أمرت به منذ ذاك حبة!"[1].

وكما رأينا جرأة ابن أبى مريم المدنى مع الرشيد فإن الهفتى فى هذا الخبر لا يقل جرأة عنه فى حديثه مع المعتصم، حتى إنه ليقول له بعد أن نال الخلافة إنه لا يفلح أبدًا، ويرد عليه المعتصم بهدوء دون أن يغضب؛ فقد كانت الانتقادات تقبل من المضحكين – كما قلنا – للخلفاء ولكبار القوم فى حين قلما تقبل من غيرهم.

وحين مجئ المتوكل للخلافة أصبح قصره – أو قصوره بمعنى أصح – مركزًا يتجمع فيه المضحكون والملهون وأصحاب كل صناعات اللهو. يقول فى ذلك المسعودى:

"ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب والمضاحك والهزل ممّا قد استفاض فى الناس تركه إلا المتوكل، فإنه السابق إلى ذلك والمحدث له، وأحدث أشياء .. فاتبعه فيها الأغلب من خواصه وأكثر رعيته، فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا إفضال و يتعالى عن مجون وطرب"[2].

وكان فى بلاط المتوكل طوائف عديدة من المضحكين فمنهم مضحكون منقطعون إليه كعبادة المخنث[3]، ومنهم مضحكون يفدون

---

(١) تاريخ الطبرى، ١٩/٩، وانظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ. عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء. بيروت، دار الكتاب اللبنانى، د. ت، ٢٣٧/٥.

(٢) مروج الذهب، ٨٦/٤.

(٣) عبادة المخنث أحد الظرفاء الذين كانوا ضمن بطانة المتوكل، وكان مشهورًا بكثرة نوادره، انظر بعض هذه النوادر فى: العقد الفريد، ١٣٤/٨، وأخبار الظراف والمتماجنين، ص١٣٣-١٣٤، ونثر الدر، ٣١٣/٧- ٣١٤، وجمع الجواهر، ص٣٤٠.

عليه أحيانًا كالجماز[1]، ومنهم حمقى ومنهم متحامقون كما سوف نوضح هذا فى أماكن أخرى من هذا الكتاب.

ومن المضحكين الذين انقطعوا لإضحاك المتوكل وإسعاده – مضحكان اسم أحدهما شَعْرة واسم الآخر بَعْرة، فقد جاء عنهما فى البصائر والذخائر.

"وكان للمتوكل مضحكان، يقال لأحدهما شَعْرة وللآخر بَعْرة فقال أحدهما لصاحبه: ما فعل فلان فى حاجتك؟ فقال: ما فتَّنى وما قطعك"[2].

وأبو العيناء هو أحد المضحكين البارزين الذين ظهروا فى بلاط المتوكل، ويبدو أنه كان مضحكًا للخليفة ولصفوة رجال الدولة العباسية – فى عهد المتوكل خاصة – وكان يمتع من حوله بفكاهاته التى يكون مبعثها الأساسى تعليقاته الساخرة المضحكة، والتى تتميز أيضًا بالجرأة فى نقد رجال الدولة وأصحابه المقربين منه – كما سوف نرى فيما بعد- .

وقد كف بصر أبى العيناء بعد أن بلغ الأربعين من عمره ولم يمنعه ذلك من أن يكون أحد المضحكين المنادمين للمتوكل، ولغيره من كبار رجال الدولة العباسية.

والخبر التالى يشير إلى منادمته للمتوكل.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وهو شاعر مطبوع، وعُرف بظرفه وكثرة نوادره، وكان الناس يأتنسون بحديثه وظرفه خاصة الخليفة المتوكل الذى قربه منه. وقد توفى الجماز سنة ٢٥٠هـ. انظر عنه: معجم الأدباء، ٦٨/١؛ ٧٥٨/٢، ٩٤٦؛ ٢١٠٥/٥، ٢١٠٦، ٢١٤٢، وجمع الجواهر، ص١١٥، والبخلاء للجاحظ، ص٧٣.

(٢) البصائر والذخائر، ٢٤/١.

"قال المتوكل: لولا ذهاب بصر أبى العيناء لأردت منادمته، وبلغه ذلك، فقال: قولوا له: إنّى إن أعفيت من قراءة نقوش الخواتم، ورؤية الأهلة صلحت لغير ذلك.

وأنهى ذلك إلى المتوكل فضحك وأمر بمنادمته"[1].

ولعل النادرة التالية تصوِّر لنا أول لقاء كان بين أبى العيناء والمتوكل، وفيه يبرز تفوق أبى العيناء على جلساء المتوكل فى الرد الساخر المفحم، فقد حاول جلساء المتوكل أن ينالوا من أبى العيناء فى مجلسه الأول هذا مع المتوكل ففشلوا وارتدت سهامهم فى نحورهم، فقد بزَّهم أبو العيناء، ونال منهم نيلاً شديدًا.

"قال أبو العيناء: لما أدخلت على المتوكل عابثنى جلساؤه، فلما برزت عليهم قال المتوكل: ادفعوا إليه عشرة آلاف درهم اتقاء للسانه، فقلت: قد قتلتنى والله يا أمير المؤمنين، قال لى: ويحك. وكيف ذلك؟ قلت: لأن من خفته لا يعيش، فقال: ليس خوف فرق ولكن خوف صيانة"[2].

ومن خلال النوادر والأخبار الكثيرة التى يتواجد فيها أبو العيناء مع المتوكل فى قصره – نرى كثرة مصاحبته للمتوكل، واستظراف المتوكل له، كما نرى فى هذه النادرة.

"وقال أبو العيناء: أدخل على المتوكل رجل قد تنبأ؛ فقال له: ما علامة نبوتك؟ قال: أن يدفع إلىَّ أحدكم امرأته؛ فإنى أحبلها فى الحال.

---

(١) نثرالدر، ٣١٨/٣: انظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص٩٠، ٩٥، وزهر الآداب، ٢٨٥/١.

(٢) البصائر والذخائر، ٧٨/١.

فقال: يا أبا العيناء هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟ فقلت: إنما يعطيه من كفر به، فضحك وخلاه"[1].

وكثيرًا ما كان أبو العيناء يلقى تعليقاته الظريفة على كل ما يسأله عنه المتوكل كهذه النادرة.

"ودخل على المتوكل وهو يبنى بالجعفرى"[2]؛ فقال له: يا أبا العيناء؛ كيف ترى دارَنا؟

فقال: يا أميرَ المؤمنين، الناس يبنون الدور فى الدنيا، وأنت تبنى الدنيا فى دارك"[3].

وكان أبو العيناء شديد السخرية والتهكم فى تعليقه على الناس وبخاصة من يسئ منهم إليه، وكانت لديه جرأة كبيرة فى تعليقاته هذه. وقد لاحظ المتوكل هذه الطبيعة الناقدة فى أبى العيناء فقال له يومًا:

"إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا؛ فقد رضى الله عن عبد فمدحه، فقال: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[4] وغضب على آخر فَزَنَّاه[5].

قال: ويلك أيزنى الله أحدًا؟ قال: نعم. قال الله تعالى: ﴿ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[1]"[2].

---

(١) نثر الدر، ٢٠٨/٣.

(٢) الجعفرى: دار بناها المتوكل، كما يبدو من سياق الخبر نفسه.

(٣) المصدر السابق، ٢١٥/٣.

(٤) سورة ص، من الآية ٣٠.

(٥) زنَّاه: أى ذكر أنه من الزنى.

وأحيانًا يوجه الخليفة المتوكل لأبى العيناء أسئلة حول أشخاص ينتقدون أبا العيناء وينتقصون قدره، فيكون رده عليه بخصوص هؤلاء الأشخاص فيه سخرية شديدة منهم، وغالبًا ما يستعين فى ردوده الساخرة تلك بآيات من القرآن الكريم يقوى بها حججه فى النيل ممن ينتقصهم ويسخر منهم كما فى هاتين النادرتين.

"وقال له يومًا المتوكل: إنَّ سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾"[3][4].

* * *

"وقال له المتوكل: إبراهيم بن نوح النصرانى واجدٌ عليك. قال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾"[5][6].

ويبدو أن انتقادات أبى العيناء لأصحابه ورجال الدولة العباسية – باستثناء الخليفة – كانت كثيرة، وتسببت فى كثرة خصومه، وظهر كما لو كان – بانتقاداته – يوقع الخصومة بين بعض الأشخاص، حتى لقد قال له المتوكل يومًا:

---

(١) سورة القلم: الآية ١٣.

(٢) الزنيم: الدخيل فى القوم وليس منهم أو اللئيم. والنادرة فى نثر الدر، ١٩٥/٣.

(٣) سورة المطففين، الآية ٢٩.

(٤) نثر الدر، ١٩٦/٣.

(٥) سورة البقرة، من الآية ١٢٠.

(٦) زهر الآداب، ٢٨٥/١، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٠٢/٣.

"يا أبا العيناء؛ لا تكثر الوقيعة فى الناس، قال: إن لى فى بصرى لشغلاً عن الوقيعة فيهم.

قال: ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية!"[1].

وصفوة القول أن أبا العيناء كان طرازًا مختلفًا – نوعًا ما – من المضحكين المحيطين بالمتوكل وكبار رجال الدولة فى عصره، فهو ليس مضحكًا للعامة، ولا يرى إلا فى جوار الخليفة أو كبار رجال الدولة أو بعض أصحابه المقربين منه الذين نالتهم سخريته أيضًا كالجاحظ وابن مكرَّم، وكان يتعمَّد السخرية من خلال تعليقاته الساخرة فى إضحاكه، وغالبًا ما تتضمن تعليقاته الساخرة جرأة فى نقد من ينتقدهم، وتحوى أيضًا فصاحة وبلاغة فى التعبير – فهو أديب معروف فى عصره ويستغل بلاغته فى سخريته المضحكة – وأيضًا تدل تعليقاته الساخرة على سعة ثقافته لا سيما بالقرآن الكريم الذى تكثر منه استشهاداته خلال تعليقاته بمن يسخر منهم وينتقصهم.

وأيضًا كان أبو الشبل[2] مضحكًا للخليفة المتوكل ولخاصة الناس من أصحابه وأصدقائه وكبار رجال الدولة العباسية، كما يبدو هذا من بعض الأخبار التى وصلتنا عنه.

---

(١) زهر الآداب، ٢٨٠/١، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٢٨١، ونثرالدر، ١٩٦/٣.

(٢) أبو الشبل هو "عاصم بن وهب بن البَرَاجم مولده الكوفه، ونشأ وتأدب بالبصرة، وفد إلى سامراء أيام المتوكل ومدحه، وكان طيبًا كثير الغزل والنوادر والمجون، فنفق عند المتوكل وخدمه واختص به وامتدحه". انظر: نهاية الأرب، ٦٣/٤.

ويقول النويرى عنه: "له أخبار مستظرفة تتضمن شعرًا ونوادر تدل على ظرفه"[1].

"وقال محمد بن المرزبان: كنت أرى أبا الشبل كثيرًا عند أبى، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره، فقال له أبى يومًا: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك قال: نعم، من طرائف أمورى: أن ابنى زنى بجارية سندية لبعض جيرانى فحبلت وولدت وكانت قيمة الجارية عشرين دينارًا، فقال: يا أبت، الصبى والله ابنى، فساومت فيه فقيل لى: خمسون دينارًا، فقلت: ويلك! كنت تخبرنى وهى حبلى فأشتريها بعشرين دينارًا وتربح الفضل بين الثمنين، وأمسكت عن المساومة بالصبى حتى اشتريته من القوم بما أرادوا، ثم أحبلها ثانيا، فولدت ابنًا آخر، فجاء يسألنى أن أبتاعه فقلت: عليك لعنة الله، أى شىء حملك على أن تحبل هذه، هلاَّ عزلت عنها؟ فقال: إنى لا أستحل العزل، ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول: شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستحله، فقلت له: يابن الزانية تستحل الزنا وتتحرج من العزل؟ فضحكنا منه وقلنا له: وأى شىء أيضًا، قال: دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى جار له يهودى خمَّار، فقلت: أريد خمرًا بنت عشر قد أنضجها الهجير، فأخرج لنا شيئًا عجيبًا، فابتعناه منه وشربنا، فقلت: اشرب معنا، فقال: لا أستحل شرب الخمر، فقال لى محمود: ويحك! هل رأيت أعجب من هذا؟ يهودى يتحرج من شرب الخمر ونشربها ونحن مسلمون! فقلت: أجل والله، لا نفلح أبدًا ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا وقمنا بالليل

(١) نهاية الأرب، ٦٣/٤.

ففعلنا بابنته وامرأته وأخته وسرقنا ثيابه وخرينا فى تيغارات[1] النبيذ وانصرفنا"[2].

وهذه رواية أخرى تؤكد ظرف أبى الشبل، واستخدامه موهبته فى الشعر فى مواقفه الظريفة.

"وقال أبو الشبل: كان خالد بن يزيد بن هُبَيْرة يشرب النبيذ وكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها: لهب، وكانت تغشانا معه وكنت أعبث بها كثيرًا، فقام مولاها يومًا إلى الجابية يستقى نبيذًا فإذا قميصه قد انشق فقلت فيه:

قالت له لَهَبٌ يومًا وجاد لها ... بالشعر فى باب فعلانٍ ومفعولِ

أما القميص فقد أزرى الزمانُ به ... فليت شعرى ما حال السراويلِ؟"[3].

مضحكو الخلفاء وعلية الناس وعامتهم فى الوقت نفسه

وهؤلاء المضحكون لم يكونوا منقطعين لإضحاك الخلفاء العباسيين بل كانوا من حين لآخر يفدون عليهم فى قصورهم أو يتجولون معهم فى بعض جولاتهم أو يصاحبونهم خلال بعض أسفارهم.

وكان هؤلاء المضحكون أكثر انغماسًا مع أبناء الشعب، ومنهم من يحترف إضحاكهم ويرتزق من وراء ذلك كابن المغازلىّ الذى سوف يأتى الحديث عنه.

---

(١) التيغارات: جمع تيغار وهو الحوض.

(٢) المصدر السابق، ٤/٦٥- ٦٦.

(٣) المصدر السابق، ٤/٦٤.

ويعد أبو الحارث جمين أحد المضحكين الذين كانوا يضحكون أبناء الشعب وفى الوقت نفسه كان يفد على الخليفة الرشيد ليسامره ويضحكه، كما نرى فى هذه النادرة.

"وجلس يتغدَّى مع الرشيد وعيسى بن جعفر فأتى بخوانٍ عليه ثلاثة أرغفة، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما. وقال: يا غلام، فرسى!

ففزع الرشيد وقال: ويلك! ما لك؟ قال: أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذين بين يديك، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة"[1].

ومن خلال النادرة السابقة نرى أن أبا الحارث جمين المضحك كان ذا قدر كبير عند الخليفة الرشيد؛ ولهذا كان يأكل معه من مائدته، ومن ثم فقد كانت منزلة المضحك كبيرة فى البلاط العباسى.

وأكثر نوادر أبى الحارث جمين وأخباره الطريفة تتعرض للطعام وحبّه له؛ ولهذا نرى نوادره وأخباره مع الرشيد تمس هذا الجانب، كما نرى فى هذا الخبر أيضًا.

"اختلف الرشيد وبعض من يحضره من أهل بيته فى الفالوذج واللوزينج[2] أيهما أطيب. قال الرشيد: نسأل أبا الحارث جُمَّيْن فأحضروه فقال له: يا أبا الحارث ما تقول فى اللوزينج والفالوذج: أيهما أطيب؟

قال: يا أمير المؤمنين لا أقضى على غائب، قال: فأحضروهما إياه. فجعل يأكل من الفالوذج ساعة ومن اللوزينج ساعة، فقال له الرشيد:

---

(١) جمع الجواهر، ص٢١٥.

(٢) اللوزينج والفالوذج: من أصناف الحلوى.

أيهما أطيب اقض على أحدهما، فقال: يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضى لأحدهما أدلى الآخر بحجته"[1].

ولا شك أن أبا نواس[2] شاعر كبير قبل أى شىء، ولكنه مع هذا كان ظريفًا يحب الناس – وبخاصة عليتهم – صحبته؛ ولهذا نراه فى بطانة الرشيد يقوم بدور المضحك كما نرى فى هذا الخبر.

---

(١) الخطيب البغدادى: التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم. القاهرة، مكتبة القدس، ط٢، ١٩٨٣م، ص٤٠، وانظر أيضًا: شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعى: القول النبيل بذكر التطفيل. دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور. الرياض، مكتبة الساعى، ١٩٨٩م، ص٨٠- ٨١، ونثر الدر، ٢٥١/٣.

(٢) الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمىّ بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق فى عصره. ولد فى الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بنى العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفى فيها. كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمىّ، أمير خراسان، فنسب إليه. وفى تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند، من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الأهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جُلَّبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبى نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وأنشد له النظام شعرًا ثم قال: هذا الذى جمع له الكلام فاختار أحسنه. وقال كلثوم العتابى: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحد. وقال الإمام الشافعى: لولا مجون أبى نواس لأخذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية. وقد نظم فى جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. له "ديوان شعر – ط" وديوان آخر سمى "الفكاهة والائتناس فى مجون أبى نواس – ط" ولابن منظور كتاب سماه "أخبار أبى نواس - ط" فى جزأين صغيرين، ولعبد الرحمن صدقى "ألحان الحان فى حياة أبى نواس - ط" ولعباس مصطفى عمار "أبو نواس – ط" ومثله لعمر فروخ. ولزكى المحاسنى "النواسى – ط" ولأبى هفان عبد الله المهزمى "أخبار أبى نواس – ط". وفى تاريخى ولادته ووفاته خلاف، قيل فى ولادته ١٣٠ و١٣٦ و١٤١ و١٤٥ و١٤٦ وقيل فى وفاته ١٩٥ و١٩٦ و١٩٨هـ. انظر الأعلام، ٢٢٥/٢.

"خرج الرشيد يومًا فى ثياب العوام ومعه يحيى بن خالد وخالد الكاتب وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وأبو نواس وعليهم ثياب العامة، فنزلوا سهرية[1] مع ملاح غريب اختلاطًا بالعوام.

فنزل معهم عامىّ، فثقل على الرشيد، وهم بإخراجه وعقوبته، فقال أبو نواس: علىّ إخراجه من غير إساءة إليه؛ فقال أبو نواسٍ للجماعة: علىّ مأكولكم من اليوم وإلى يوم مثله، فقال الرشيد: وعلىّ مشروبكم من اليوم وإلى يوم مثله، وقال يحيى: علىّ مشمومكم من اليوم وإلى يوم مثله، وقال خالد: علىّ بقلكم من اليوم إلى يوم مثله، وقال إسحاق: علىّ أن أغنيكم من اليوم إلى يوم مثله.

ثم التفت أبو نواس إلى الرجل، فقال: ما الذى لنا عليك أنت؟ فقال: علىّ أن لا أفارقكم من اليوم إلى يوم مثله.

فقال الرشيد: هذا ظريف لا يحسن إخراجه، فصحبهم فى تفرجهم بقية يومهم"[2].

وهناك مضحك نعدّه مضحكًا للعامة، ومع ذلك لما سمع به الرشيد، أمر أن يحضر إلى قصره، وسمع وشاهد بعض أضاحيكه، كما يصوّر لنا هذا ذلك الخبر.

---

(١) هكذا فى الأصل، ولعله سميرية أو سمارية، وهو زورق لنقل الناس فى البحار والأنهار. انظر أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٢، الحاشية.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٢- ١٠٣.

"وحكى عن هارون الرشيد أن أرق ذات ليلةٍ أرقًا شديدًا، فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى: إنى أرقت هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع، وكان خادمه مسرور واقفًا أمامه فضحك، فقال له: ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافًا؟ فقال: وقرابتك من سيد المرسلين ﷺ ما فعلت ذلك عمدًا ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر إلى أن جئت إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين، فوقفت فرأيت رجلاً واقفًا يضحك الناس يقال له ابن المغازلىّ، فتفكرت الآن فى شىء من حديثه وكلامه، فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين.

قال له الرشيد: ائتنى الساعة به، فخرج مسرور مسرعًا إلى أن جاء إلى ابن المغازلى فقال له: أجب أمير المؤمنين، فقال سمعًا وطاعة، فقال له: بشرط أنه إذا أنعم عليك بشىء يكون لك منه الربع والبقية لى، فقال له: بل اجعل لى النصف ولك النصف، فأبى، فقال: الثلث لى ولك الثلثان، فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم.

فلما دخل على الرشيد سلَّم، فأبلغ وترجم فأحسن، ووقف بين يديه، فقال له أمير المؤمنين: إن أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وإن لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات، فقال ابن المغازلى فى نفسه: وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب؟ وظن فى نفسه أن الجراب فارغ.

فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالاً عجيبة تضحك الجلمود، فلم يضحك الرشيد، ولم يتبسم، فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف، فقال له الرشيد: الآن استحقيت الضرب، ثم أنه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطاتٍ كل واحدة وزنها رطلان، فضربه ضربة. فلما وقعت الضربة فى

رقبته صرخ صرخةً عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور، فقال: العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين. قال: قل ما بدا لك. قال: إن مسرورًا شرط علىّ شرطًا واتفقت أنا وإياه على مصلحة، وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى إلى ذلك إلا بعد جهدٍ عظيم.

وقد شرط علىّ أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنتان، وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه.

فضحك الرشيد ودعا مسرورًا، فضربه، فصاح، وقال: يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى. فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار، فأخذ كل واحد منهما خمسمائة دينار، ورجع ابن المغازلى شاكرًا"[1].

ولعل ابن المغازلىّ – من خلال هذا الخبر – يعد أبرز مضحك للشعب فى العصر العباسى الأول، وكان يستخدم فى إضحاكه كل وسائل المضحك من تمثيل، وتعليق ساخر، وعمل حركات مضحكة بجسمه، وغير ذلك من وسائل الإضحاك التى عرفها الناس آنذاك.

والآن نتحدث عن أهم المضحكين الذين عاشوا فى خلافة المتوكل، وأضحكوا صفوة الناس وعامتهم، وطلب المتوكل أن يتواجدوا فى قصره من حين لآخر ليضحكوه، وليروّح عن نفسه بهم.

ومن المضحكين الذين وفدوا على المتوكل الجماز، وقد ذكر فى أسباب حمله إليه الخبر التالى:

---

(١) المستطرف، ص٥٣٩.

"كان المتوكل يحدّث عن الجماز، فكتب فى حمله. فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذى ظنه، فقال المتوكل: تكلم فإنى أريد أن أستبرئك[1]. فقال الجماز: بحيضة أو بحيضتين، فضحكت الجماعة"[2].

وللجماز مواقف عديدة مع المتوكل تظهر ظرفه، وقدرته العالية على إثارة الفكاهة، وخاصة من تعليقاته الطريفة، كما فى هذه النادرة.

"وقال له المتوكل: أى شىء أهديت لى يوم العيد؟ قال: حلقة رأسى"[3].

وأيضًا كان أبو العنبس الصيمرىّ أحد مضحكى العامة الذين وفدوا على المتوكل، وسمع بعض حكاياتهم ونوادرهم الطريفة كما نرى فى هذا الخبر.

"قال المتوكل لأبى العنبس: أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان من شعره فى الرؤيا التى أريتها، قال: نعم يا أمير المؤمنين، كان أعقل من القضاة، ولم يكن له جريرة[4] ولا زلة، فاعتل علة على غفلةٍ، فمات منها.

فرأيته فيما يرى النائم، فقلت له: يا حمارى، ألم أبرد لك الماء، وأنق لك الشعير، وأحسن إليك جهدى[5]؟ فلم مت على غفلة؟ وما خبرك؟ قال: نعم، لما كان فى اليوم الذى وقفت على فلانٍ الصيدلانى تكلمه فى

---

(١) أستبرئك: المراد منها هنا معنى للفعل استبرأ، وهو عدم الجماع بين الرجل وامرأته – إذا كانت متزوجه قبله أو منه – حتى تحيض.

(٢) نثر الدر، ٣/ ٢٥٧، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص٨٤، وجمع الجواهر،. ١٦٤/١.

(٣) نثر الدر، ٢٥٥/٣.

(٤) جريرة: أى ذنب.

(٥) جهدى: أى بأقصى ما أستطيع.

كذا وكذا مرت بى أتان حسناء، فرأيتها فأخذت بمجامع قلبى، فعشقتها واشتدَّ وجدى بها، فمت كمدًا متأسفًا.

فقلت له: يا حمارى، فهل قلت فى ذلك شعرًا، قال: نعم، وأنشدنى:

هـــــام قلبـــــى بأتـــــان عنـــــد بـــــاب الصـــــيدلانى
تيمتنـــــى يـــــوم رُحْنَـــــا بثناياهـــــا الحســـــان
وبخـــــدين أســـــيلين كلـــــون الشـــــنقرانى
فبهـــــا مُـــــتُّ ولـــــو عشـــــتُ إذًا طـــــال هـــــوانى

قلت: يا حمارى، فما الشنقرانى؟ فقال: هذا من غريب الحمير. فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح فى ذلك اليوم فرحًا شديدًا، وسرَّ سرورًا لم ير مثله، وزاد فى تكرمة أبى العنبس وجائزته"[1].

والخبر السابق يدل على الدور الكبير الذى كان يقوم به المضحك فى بعث السرور على الخليفة ومن يحيط به من علية الناس، بل إنه كان يضحك أيضًا عامة الناس، فالصيمرى كان مضحكًا للعامة قبل أن يكون مضحكًا للخليفة المتوكل وكبار الناس من حوله.

وكان الصيمرى كأبى دلامة يستغل موهبته الشعرية كإحدى وسائل المضحك فى الإضحاك، ويستغل معها قدرته على نسج الحكايات الطريفة كحكايته تلك مع حماره الذى أحب حمارة ومات من شدّة عشقه إياها.

---

(١) مروج الذهب، ٤/٩٢- ٩٣، ووردت النادرة فى: العقد الفريد، ٨/١٤٤، وذكر مكان أبى العنبس بشار بن برد.

مسامرو الخلفاء العباسيين

يمكن أن نقسم مسامرى الخلفاء العباسيين إلى طائفتين: الطائفة الأولى هم أولئك العلماء والأدباء الذين كان الخلفاء يستقدمونهم للانتفاع بعلمهم وما لديهم من أحاديث ونوادر مضحكة، وعلى رأس هذا الفريق الأصمعى[1].

أما الطائفة الأخرى من المسامرين للخلفاء العباسيين فهم رجال كان الخلفاء يتعرفون عليهم – فى الغالب – خلال تجوالهم متنكرين، ويرون فى هؤلاء الأشخاص الروح المرحة فيضمونهم إلى بطانتهم.

أما عن الطائفة الأولى من المسامرين فنكتفى بالحديث عن الأصمعى أبرز العلماء الذين جالسوا الخليفة هارون الرشيد، وكثيرًا ما ضحك من أخباره ونوادره.

والأصمعى يقول عن نفسه: "توصلتُ بالملح وأدركت بالغريب"[2].

وهاتان روايتان تصوِّران علاقة الأصمعى المسامر الظريف بالخليفة هارون الرشيد، واستمتاع الرشيد بأخباره ونوادره الطريفة.

---

(١) الأصمعى هو عبد الملك بن قُرَيْب بن على بن أصمع الباهلى. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ومولده ووفاته فى البصرة، كان كثير التطواف فى البوادى، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، وأخباره كثيرة جدًّا، وكان الرشيد يسميه "شيطان الشعر"، وتصانيفه كثيرة منها: "الإبل"، و"الأضداد" و"خلق الإنسان"، و"الخيل".

انظر: الأعلام، ١٦٢/٤.

(٢) العقد الفريد، ١٢٨/٧.

وقال الأصمعى للرشيد فى بعض حديثه: "بلغنى يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق فى يوم خمس نسوة! قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة؛ فكيف طلق خمسًا؟ قال: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يومًا فوجدهن متلاحيات متنازعات – وكان شنطيرًا، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك – يقول ذلك لامرأة منهن – اذهبى فأنت طالق! فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، ولو أدَّبتها بغير ذلك لكنت حقيقًا! فقال لها: وأنت أيضًا طالق! فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مُفْضلتين! فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضًا! فقالت له الرابعة، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضًا! وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة! قال: وأنت أيضًا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه من داخل بيته: قد أجزت! قد أجزت"[1].

* * *

"قال الأصمعى: دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرة، فقال: يا أصمعى إن حدثتنى بحديث فى العجز[2] فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا فى صَحَارَى الأعراب فى يوم

(١) المصدر السابق، ١٢٩/٧.

(٢) العجز: الضعف والتواكل.

شديد البرد والريح وإذا بأعرابى قاعد على أجمة[1] وهو عريان، وقد احتملت الريح كساءه، فألقته على الأجمة؛ فقلت له: يا أعرابى، ما أجلسك ها هنا على هذه الحالة؟ فقال: جارية وعدتُها يقال لها سلمى، وأنا منتظر لها؛ فقلتُ: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ فقال: العجز يوقفنى عن أخذه، فقلت له: فهل قلت فى سلمى شيئًا؟ فقال: نعم؛ فقلت: أسمعنى لله أبوك! فقال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائى وتلقيه علىّ! قال: فأخذته فألقيته عليه، فأنشأ يقول ..."[2].

فقال بيتين من الشعر فيهما بعض المعانى الجنسية، ويعبران فى الوقت نفسه عن كسله الشديد، ويضحك الرشيد من هذا الموقف لهذا الأعرابى حتى إنه استلقى على ظهره، ويعطى الأصمعى البدرة، فيأخذها وينصرف[3].

والآن نتحدث عن الطائفة الأخرى من المضحكين المسامرين للخلفاء العباسيين والذين كانوا يتعرفون عليهم خلال تجوالهم متنكرين فيستظرفونهم؛ ولذا يأمرون بضمهم لبطانتهم ليأتنسوا بحديثهم الطريف وفكاهاتهم العذبة.

---

(١) الأجمة: التلة.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار. شرحه وضبطه وعلق عليه وقدَّم له ورتب فهارسه: د. يوسف على طويل. بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ٣/٣٢١.

(٣) د. على محمد السيد خليفه: بنية السرد فى النادرة، نوادر الأعراب فى كتاب عيون الأخبار نموذجًا. الإسكندرية، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٦، وانظر رواية أخرى تظهر دور الأصمعى المسامر المضحك للرشيد فى كتاب: الإماء الشواعر لأبى الفرج الأصفهانى. تحقيق: د. فوزى حمودى القيسى، ود. يونس أحمد السامرائى. بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٠- ٤١.

وغالبًا لا يذكر أسماء هؤلاء المسامرين المضحكين للخلفاء، ولا نجد عن كل واحد منهم إلا الخبر الذى يشير لتعرُّف الخليفة عليه، واستظرافه إياه، وأمره بأن يضم إلى بطانته ليأتنس به وبظرفه.

ولعل هذا يدل على أن هؤلاء الأشخاص لم يطل بقاؤهم فى بطانة الخلفاء.

وفى الخبر التالى نتعرف على أحد المضحكين الظرفاء الذين تعرف عليهم الخليفة المهدى وضمه إلى بطانته.

"انفرد المهدى من عسكره فاجتاز برجلٍ على ماء، فقال: ألك طعام؟ قال: نعم! وقدم إليه سفرة كانت معه، فأكل المهدى ثم غسل يده. فقال له الرجل: أصلحك اللّه! معى شراب فهل لك فيه؟ قال: نعم! فشرب.

فلما انتشى قال للرجل: أتعرفنى؟ قال: لا. قال: أنا صديق لوزير أمير المؤمنين، وسأسأله فى أن يسبب لك أسبابًا تنتفع بها؛ ثم شرب قدحًا ثانيًا، وقال: أتعرفنى من أنا؟ فقال: لقد قلت: إنك صديق لوزير أمير المؤمنين. فقال: أنا وزير أمير المؤمنين. ثم شرب ثالثًا. وقال: أتدرى من أنا؟ فقال: قل لكى أرى. قال: أنا أمير المؤمنين.

فشد الرجل رَكْوته ونحَّاها ناحية، فقال له المهدى: ما لك عجلت برفعها؟ قال: شربت ثلاثة أقداحٍ فادعيت الخلافة، فإن شربت الرابعة ادعيت النبوة، فليس بينى وبينك عمل.

فضحك المهدى وأدركته الخيل فجعلوا يترجلون ويسلمون عليه بالخلافة، ثم ركب المهدى وأمرهم بالتحفظ على الرجل. فلما تيقن الرجل الأمر سألهم أن يقربوه من أمير المؤمنين، فقربوه منه، فقال: يا أمير

المؤمنين، نصيحة، فأدناه، فقال: ما رأيت أصدق منك فى دعواك، وإن ادعيت الرابعة، فأنا أول مؤمن بك. فضحك المهدى منه وأمر له بصلةٍ وضمه إلى ندمائه"[1].

وهارون الرشيد هو أكثر خليفة تروى عنه أخبار وحكايات فى تنكره مع وزيره جعفر وبعض كبار رجال الدولة فى عصره، وتحدث له مواقف طريفة خلال تنكره، ويتعرف أيضًا خلال ذلك على بعض الظرفاء الذين يأمر بضمهم لبطانته ليضحك منهم، كما نرى فى هذا الخبر.

"انفرد الرشيد، وعيسى بن جعفر بن المنصور، والفضل بن الربيع فى طريق الصيد، فلقوا أعرابيًّا فصيحًا، فولع به عيسى إلى أن قال له: يا ابن الزانية. فقال له: بئس ما قلت قد وجب عليك ردها أو العوض، فارض بهذين المليحين بيننا. قال عيسى: قد رضيت، فقالا للأعرابى: خذ منه دانقين عوضًا من شتمك، فقال: هذا الحكم؟ قالا: نعم.

قال: فهذا درهم خذوه، وأمكم جميعًا زانية، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لى عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور فى ذاك النهار إلا حديث الأعرابى، وضمَّه الرشيد إلى خاصته"[2].

وأيضًا يروى أن المأمون قد استظرف بعض الناس، وأمر بضمهم لبطانته، كهذا المتنبىء الذى نراه فى هذه الرواية.

---

(١) جمع الجواهر، ص١١٤، وانظر أيضًا: المستطرف، ص٥٣١، ونثر الدر. تحقيق: د. سيدة حامد عبد العال. مراجعة: د. حسين نصار. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، ج٦، قسم٢، ص٤٧٢، ونهاية الأرب، ٨/٤.

(٢) ابن الجوزى: الأذكياء. بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.، ص١٠٧.

"وحدث ثمامة بن أشرس[1] قال: شهدت مجلسًا للمأمون وقد أتى برجل ادعى أنه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون: ما سمعت بأجرأ على الله من هذا، قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى كلامه، قال: شأنك وإياه، قلت: يا هذا إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين، قال: وما براهينه؟ قلت: أضرمت له النار وألقى فيها فكانت عليه بردًا وسلامًا، فنحن نضرم لك نارًا ونطرحك فيها، فإن كانت عليك بردًا وسلامًا كما كانت عليه آمنَّا بك وصدقناك، قال: هات ما هو ألين علىّ من هذا.

قلت: فبراهين موسى عليه السلام، قال: وما هى؟ قلتُ: ألقى العصا فإذا هى حية تسعى تلقف ما يأفكون، وضرب بها البحر فانفلق، وبياض يده من غير سوء، قال: هذا أصعب، ولكن هات ما هو ألين علىّ من هذا.

قلت: فبراهين عيسى عليه السلام، قال: وما براهينه؟ قلت: إحياء الموتى، فقطع الكلام فى براهين عيسى، وقال: جئت بالطامة الكبرى، دعنى من براهين هذا، قلت: فلا بد من براهين، قال: ما معى من هذا شىء، وقد قلت لجبريل إنكم توجهوننى إلى شياطين فأعطونى حجة أذهب بها وإلا لم

---

(١) ثمامة بن أشرس النميرى أحد كبار علماء الكلام، وكان مقربًا من الرشيد والمأمون فى خلافتهما، وكان المأمون يصدر عن رأيه فى كثير من المواقف السياسية، وعرف ثمامة بقوة حجته فى الجدل والمناظرة، وهو أستاذ الجاحظ وصديقه فى الوقت نفسه. انظر: ابن حجر العسقلانى: لسان الميزان. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثانى ١٩٨٧م، ١٠٦/٢، وابن المرتضى: طبقات المعتزلة. تحقيق: سُوسنه ديفيلد فِلْتر. بيروت، ط٢، د. ت، ص٤٦، ٦٤- ٦٥، ويموت بن المزرع: الأمالى، منشور ضمن كتاب نوادر الرسائل. تحقيق: إبراهيم صالح. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٩- ٩٠، وابن طيفور: تاريخ بغداد. عنى بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى. مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٢٥.

أذهب، فغضب جبريل عليه السلام علىّ، وقال: جئت بالشر من ساعة، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم.

فضحك المأمون وقال: هذا من الأنبياء التى تصلح للمنادمة"[1].

الحمقى والمجانين

ومن المضحكين الذين أضحكوا الناس – لا سيما فى العصر العباسى – الحمقى والمجانين، وهؤلاء لهم نوادر وأخبار كثيرة، تناولتها كتب الأخبار كالبيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبد ربه، بل إن ابن الجوزى قد كتب كتابًا كاملاً عن نوادرهم وأخبارهم الطريفة هو كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين".

وبالطبع لا يتعمد الحمقى والمجانين أو الموسوسون إضحاك الناس، ولكنهم بأفعالهم وأقوالهم التى تخالف المعقول يضحكون الناس، بل إن بعض الخلفاء كانوا يطلبون رؤية بعض هؤلاء الحمقى والمجانين بعد أن سمعوا نوادر عديدة عنهم، ومنهم من كان له أفعال مضحكة مع الخلفاء العباسيين أو بعض كبار رجال الدولة العباسية.

وجحا[2] هو أشهر من اشتهروا بالحمق فى العصر العباسى الأول، وأقدم ما وصلنا من نوادره فى الكتب القديمة كنثر الدر للآبى (ت ٤٢١)

---

(١) مروج الذهب، ٤/٢٥- ٢٦.

(٢) جاء عن جحا فى كتاب الأعلام: جحا (٠٠٠ – نحو ١٣٠هـ = ٠٠٠ – نحو ٧٤٧م) جحا الكوفى الفزارى، أبو الغصن: صاحب النوادر. يضرب به المثل فى الحمق والغفلة. كانت أمه خادمة لأم "أنس بن مالك"، ويقال: كان فى الكوفة إبان ثورة أبى مسلم الخراسانى، وأدخله عليه مولاه يقطين فقال: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟ وعلى هامش مخطوطتى من "المستقصى" للزمخشرى: وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة :=

وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) يشير إلى أن نوادره وأخباره كانت تتركز حول حمقه، ثم أضيفت له فى عصور تالية نوادر أخرى منها ما يشير لحمقه، ومنها ما يشير لفطنته، ولأعمال مختلفة قام بها.

="دلَّهتِ عقلى، وتلعبتِ بى ❖❖ حتى كأنى من جنونى جحا"

فإن صحت نسبة البيت إلى ابن أبى ربيعة دلت على اشتهار جحا قبل أيام أبى مسلم بأكثر من أربعين سنة. وسماه الجوهرى فى الصحاح "جحا" فتعقبه صاحب القاموس بأن "جحا" لقبه وأن اسمه "دجين بن ثابت" وأورد ابن حجر فى "لسان الميزان" ترجمة لمحدث من أهل البصرة اسمه "دجين بن ثابت اليربوعى" وكنيته "أبو الغصن" ونفى رواية من قال إنه هو جحا. وقال شارل بلا: إن الجاحظ كان أول مؤلف عربى ذكر جحا فى مؤلفاته، ذكره فى رسالة عن علىّ والحكمين، وذكره فى كتاب البغال. وفى فهرست "ابن النديم" من الكتب المصنفة فى أخبار المغفلين "نوادر جحا" وهذا حتمًا غير كتاب "نوادر جحا" المطبوع بمصر وبيروت المترجم عن التركية، المنسوبة أخباره إلى جحا الرومى المعروف بخوجه نصر الدين، وقد دخلت فيه حكايات من نوادر جحا (العربى) فى جملة ما ترجم إلى التركية من كتب العرب. قال الزمخشرى: والحكايات عنه لا تضبط كثرة. وفى ديوان أبى العتاهية (المتوفى سنة ٢١١) قوله:

دلهنى حبها وصيرنى ❖❖ مثل جحا شهرة ومَشْخَلَه

وفى مخطوطة حديثة سُميت "قطعة من تراجم أعيان الدنيا الحسان" فى المكتبة الشرقية اليسوعية ببيروت: كان أبو الغصن جحا البغدادى صاحب مداعبة ومزاح ونوادر توفى فى خلافة المهدى العباسى".

انظر: الأعلام، ١١٢/٢ – ١١٣.

وقد ذكر د. محمد رجب النجار: أن جحا شخصية حقيقية، وأن كنيته كانت أبا الغصن، وأنه توفى سنة ١٦٠هـ.

انظر: د. محمد رجب النجار: جحا العربى. الكويت. سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٠)، أكتوبر، ١٩٧٨م، ص٢٢ – ٢٤، ويراجع الكتاب كله.

وفى رأيى أن جحا كان بالفعل شخصية حقيقية، ولكنه كان أحمق أو يدَّعى التحامق؛ لأن أقدم ما وصلنا من نوادره فى الكتب القديمة يشير لحمقه ومن ذلك ما جاء من نوادر عنه فى كتاب نثر الدر للآبى: ٣٠٧/٥ – ٣١٣، كتاب ابن الجوزى: أخبار الحمقى والمغفلين. تحقيق: د. أحمد أحمد شتيوى. القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٣- ٣٩.

ونظن أنه كان أحد الحمقى – أو على الأقل هو أحد المتحامقين[1] – الذين ظهروا فى العصر العباسى الأول، وله مواقف مع بعض رجال الدولة العباسية كأبى مسلم الخراسانى والخليفة المهدى.

وها هى ذى نادرة تدل على حمقه، وعلى اتصاله بأبى مسلم الخراسانى قائد جيوش العباسيين فى هدم الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية.

"ومن حمقه أن أبا مسلم صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلىّ؟ فقال يقطين: أنا، ودعاه.

فلما دخل لم يكن فى المجلس غير أبى مسلم ويقطين، فقال: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟"[2].

وفى النادرة التالية يُرى جحا فى قصر المهدى، ويعبث به المهدى، ويضحك من تصرفاته.

---

(١) جاء فى كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى عند حديثه عمن عُرف بالتغفيل: "ومنهم جحا، ويكنى أبا الغصن، وقد روى عنه ما يدل على فطنة وذكاء إلا أن الغالب عليه التغفيل، وقد قيل: إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات، والله أعلم.

وعن مكى بن إبراهيم أنه يقول: رأيت جحا رجلاً كيسًا ظريفًا، وهذا الذى يقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه، فوضعوا عليه". انظر: ابن الجوزى: أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٥.

ويقول ابن الجوزى: "وجمهور ما يروى عن جحا تغفيل نذكره كما سمعناه". انظر: أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٦.

وهكذا يختلف رأى الرواة والكتاب حول حقيقة كون جحا، هل هو ذكى ظريف، أم أحمق أم متحامق، ولكنهم يؤكدون أن أغلب ما ينسب له من روايات يدل على حمقه أو على تحامقه.

(٢) مجمع الأمثال، ٣٩٧/٢.

"وأراد المهدى أن يعبث به فدعا بالنَّطْعِ[1] والسيف. فلما أقعد فى النطع، وقام السياف على رأسه وهز سيفه، رفع إليه رأسه.

فقال: انظر لا تصيب محاجمى[2] بالسيف، فإنى قد احتجمت، فضحك المهدى وأجازه"[3].

وأيضًا من الحمقى والموسوسين الذين أضحكوا عامة الناس وخاصتهم فى العصر العباسى الأول – بُهْلُول[4] وعُلَيَّان[5].

وها هى ذى نادرة تدلّ على وجودهما فى قصر الخليفة الهادى وعبثه بهما، وجرأتهما فى الرد عليه.

"أمر الخليفة موسى الهادى بإحضار بهلول وعليان، فأحضرا، فلما دخلا عليه قال لعليان: أيش معنى عليان؟ قال عليان: وأيش معنى موسى أطبق؟

فغضب الهادى وقال: خذوا برجل ابن الفاعلة. فالتفت عليان إلى بهلول وقال: خذها إليك كنا اثنين فصرنا ثلاثة"[6].

---

(١) النطع: بكسر النون وفتحها – بساط من الأديم.

(٢) المحاجم: المقصود مكان الحجامة.

(٣) نثر الدر، ٣٠٧/٥- ٣٠٨، وانظر أيضًا: أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٨.

(٤) هو بهْلول بن عمرو الصيرفى، أبو وهيب: من عقلاء المجانين، له أخبار ونوادر وشعر. ولد ونشأ فى الكوفة، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان فى منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون، وتوفى نحو ١٩٠هـ. انظر: الأعلام، ٧٧/٢.

(٥) كان عليَّان من الموسوسين، مثل بهلول واستدعاه الخليفة الهادى مع بهلول ليضحك منهما. انظر: ابن حبيب النيسابورى: عقلاء المجانين. تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور. القاهرة، مكتبة الساعى، ١٩٨٩م، ص١١٤، والعقد الفريد، ١٦٣/٧.

(٦) عقلاء المجانين، ص١١٤، ويذكر الجاحظ النادرة نفسها دون أن يذكر اسم المجنونين فيها، ولا اسم الهادى، انظر: البيان والتبيين، ٢٣١/٢.

ويبدو أن هارون الرشيد كان معجبًا ببهلول، وكثيرًا ما كان يطلب مجيئه إليه ليضحك منه، كما يصور لنا هذا هاتان النادرتان.

"ودعا الرشيد بهلولاً ليضحك منه.

فلما دخل دعا له بمائدةٍ فقدم عليها خبز وحده، فولى بهلول هاربًا، فقال له: إلى أين؟

قال: أجيئكم يوم الأضحى، فعسى أن يكون عندكم لحمٌ"[1].

* * *

"حجَّ الرشيد فذكر بهلولاً حين دخل الكوفة، فأمر بإحضاره، وقال: ألبسوه سوادًا، وضعوا على رأسه قَلَنْسُوة طويلة، وأوقفوه فى مكان كذا، ففعلوا به ذلك، وقالوا: إذا جاء أمير المؤمنين، فادع له.

فلما حاذاه الرشيد، رفع رأسه إليه وقال: يا أمير المؤمنين أسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد، وقال: آمين.

فلما جازه الرشيد، دفعه صاحب الكوفة فى قفاه وقال: أهكذا تدعو لأمير المؤمنين، يا مجنون؟! قال بهلول: اسكت. ويلك يا مجنون، فما فى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم.

فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال: ما كذب!"[2].

---

(١) نثر الدر، ٣/٢٦٠.

(٢) عقلاء المجانين، ص١٠٢.

وتروى عن بهلول نوادر تدل على ظرفه وعلى جنونه فى الوقت نفسه، أو على جنونه الظريف، وكان الناس يتناقلون هذه النوادر ليضحكوا منها، ولا نستبعد أيضًا أن يكون قد أضيف له نوادر عديدة لم تحدث له؛ وذلك لشهرته بالجنون المضحك.

ومما يروى عنه أنه "كان يغنى بقيراط ويسكت بدانق"[1].

ومن الطريف أن نجد نادرة كل الأشخاص الذين ذكروا فيها من الحمقى أو المجانين، وهم امرأة وفتى وبهلول. وها هى ذى تلك النادرة.

"وكانت بالكوفة امرأة رعناء يقال لها مجيبة، فقفد بهلولاً فتى كانت مجيبة أرضعته، فقال له بهلول: كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مجيبة؟ فوالله لقد كانت تزق لى الفرخ فأرى الرعونة فى طيرانه!"[2].

وأحيانًا نجد بعض هؤلاء المضحكين من المجانين أو الحمقى تصدر عنهم الحكمة اتفاقًا مع القول المأثور: خذوا الحكمة من أفواه المجانين. ولا يستبعد أن تكون مثل هذه الأقوال المنسوبة لهؤلاء المجانين فى مثل هذه النوادر منحولة عليهم؛ ليعتبر الناس، وتكون العظة على ألسنتهم أنجع، فلا يحسن بالعقلاء أن يأتوا أفعالاً نبههم لسوئها بعض المجانين.

وهذه نادرة نرى فيها بعدًا سياسيًّا ودينيًّا، ونرى فيها أيضًا "بهلولاً" المجنون يتحدث بالحكمة، ويقطع محاوره الذى حاول السخرية منه، فانقلبت السخرية عليه برد بهلول له.

---

(١) البيان والتبيين، ٢/٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ٢/٢٣١.

"ومن مجانين الكوفة: بهلول، وكان يتشيع، فقال له إسحاق بن الصَّبَاح: أكثر الله فى الشيعة مثلك. قال: بل أكثر الله فى المرجئة مثلى، وأكثر فى الشيعة مثلك"[1].

هذا عن بهلول أما عُلَيَّان فقد كان صنفًا مثيرًا من بين الممرورين، فقد كان الناس يضحكون من تصرفاته وأقواله، ويتحدثون بنوادره، وكان العلماء يحدثونه أيضًا ليسمعوا ردوده الطريفة، ويسمعوا روايته للشعر، فقد كان حافظًا لكثير من الشعر، فقد جاء فى العقد الفريد عنه: "قال أبو الحسن[2]: كان بالبصرة ممرور يقال له عليان بن أبى مالك، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه، وكان راوية للشعر بصيرًا بجيده"[3].

وهذه نادرة تدل على ما كان يصيب هؤلاء المجانين الظرفاء من أذى الصبيان، وفى الوقت نفسه تدل على ظرف عليان، وحرص بعض الناس على استماع روايته للشعر، وردوده الطريفة المضحكة.

"قال ابن إدريس: أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا فى الدار؛ فقال لى الخادم: هذا عليان قد هجم علينا، والصبيان فى طلبه. فقلت: ادفع الباب فى وجوه الصبيان، وأخرج إليه طعامًا وطبقًا عليه رطب مُشان[4] وملبقات[5] وأرغفة. فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه، وقال: هذا

---

(١) المصدر السابق، ٢/٢٣٠.

(٢) هو أبو الحسن المدائنى الإخبارى المشهور فى العصر العباسى الأول.

(٣) العقد الفريد، ٧/١٦٣.

(٤) مشان: نوع من التمر.

(٥) الملبق: الشديد التثريد الملين بالدسم.

رحمة الله – وأشار إلى الطعام – كما أن أولئك من عذاب الله – وأشار إلى الصبيان – ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب، وهو يقول: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1]! قال: ابن إدريس: فلما انقضى طعامه قلت له:يا عليان، ما لك تروى الشعر ولا تقوله؟ قال: إنى كالمسن: أشحذ ولا أقطع! وكان بصيرًا بالشعر، فقلت: أى بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذى لا يحجب عن القلب. قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول جميل:

ألا أيهـا النُّـوَّامُ ويحكـمُ هُبُّـوا أسـائلكُم: هـل يقتلُ الرجلَ الحـبُّ؟

قال: فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف، وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع"[2].

ونجد بعض الروايات تشير إلى أن بعض الأمراء فى العصرين الأموى والعباسى كانوا يستقدمون بعض المجانين، أو يخرجون من منهم بالحبس ليضحكوا من تصرفاتهم وأقوالهم، وتكون المفارقة فى أن هؤلاء المجانين هم الذين يسخرون من هؤلاء الأمراء، كما رأينا فى نادرة سابقة أن بهلولاً وعليان يسخران من الخليفة الهادى حين أراد العبث بهما.

وهاتان نادرتان ينال فيهما مجنونان من أميرين أرادا أن يضحكا منهما، فسخرا هذان المجنونان من هذين الأميرين.

---

(١) سورة الحديد، من الآية ١٣.

(٢) العقد الفريد، ١٦٣/٧.

"وقيل للمثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وهو على اليمامة: إن ها هنا مجنونًا له نوادر. فأتوه به فقال: ما هجاء النشَّاش[1]؟ فقال: الفلج العادى[2] فغضب ابن هبيرة وقال: ما جئتمونى به إلا عمدًا، ما هذا بمجنون"[3].

* * *

"أمر بلال بن أبى بردة بإخراج مجنون من الحبس، ليضحك منه، فقال له: أتدرى لِمَ دعوتك؟ قال: لا، قال: لأسخر منك؛ فقال المجنون غير منكر: فقد حكم المسلمون حكمين فسخر أحدهما من الآخر. فخجل بلال وأطلقه"[4].

وإذا كان بعض الخلفاء والأمراء يستدعون بعض المجانين ليضحكوا من أفعالهم وأقوالهم فإن المجنون أو الأحمق – خاصة الظريف وغير المؤذى منهم – هو بالأساس مضحك للعامة من الناس، والجاحظ يروى لنا حكاية طريفة عن أحد المجانين الظرفاء، وكيف أنه كان يقول الأشياء الغريبة الطريفة، ويستمع له من حوله بشغف واستمتاع ويضحكون منه، بل إن الجاحظ فى هذه الحكاية قد حاور هذا المجنون ووافقه على أقواله الغريبة تظرفًا.

---

(١) النشاش، كشداد: وادٍ كثير الحمض، كان به ذلك اليوم بين بنى عامر بن صعصعة وبنى حنيفة أهل اليمامة.

(٢) الفلج العادى، ويقال له أيضًا فلج الأفلاج: مدينة باليمامة من قرى عامر بن صعصعة وكان به يومان: الفلج الأول لبنى عامر على بنى حنيفة، والآخر لبنى حنيفة على بنى عامر.

(٣) البيان والتبيين، ٢/٢٣٣.

(٤) ربيع الأبرار، ٢/٦٦.

يقول الجاحظ: "وبينما أنا جالس يومًا فى المسجد مع فتيانٍ من المسجديين مما يلى أبواب بنى سليم، وأنا يومئذ حدث السن إذ أقبل أبو سيف الممرور – وكان لا يؤدى أحدًا، وكان كثير الظرف من قوم سَراة – حتى وقف علينا، ونحن نرى فى وجهه أثر الجِدِّ، ثم قال مجتهدًا: والله الذى لا إله إلا هو إن الخُرْءَ لحلو. ثم والله الذى لا إله إلا هو إن الخرء لحلو. ثم والله الذى لا إله إلا هو إن الخرء لحلو، يمينًا باتة يسألنى الله عنها يوم القيامة! فقلت له: أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه، فمن أين علمت ذلك؟ فإن كنت علمت أمرًا فعلمنا مما علمك الله. قال: رأيت الذبان يسقط على النبيذ الحلو، ولا يسقط على الحازِر[1]، ويقع على العسل ولا يقع على الخل، وأراه على الخرء أكثر منه على التمر. أفتريدون حجة أبين من هذه؟ فقلت: يا أبا سيفٍ بهذا وشبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب"[2].

المضحكون المتحامقون

ومن المضحكين من يدَّعون التحامق، وهم مع ذلك من أعقل العقلاء، ولعلهم ادعوا التحامق؛ لأنهم رأو أن بضاعة الضحك التى يبيعونها للناس لن تنفق إلا بادعائهم التحامق.

ولعل أبا العِبَر ومن على شاكلته ممن ادعوا التحامق، قد سايروا عصرهم الشديد الاضطراب، ووجدوا أن بضاعة العقلاء لا تنفق فيه؛ فادعوا التحامق ليستطيعوا مسايرة عصرهم، ولينالوا بعض النقود من وراء ذلك.

---

(١) الحازر: الحامض الشديد الطعم.

(٢) الحيوان، ٣/٣٦٠ – ٣٦١.

والخبر التالى يعرفنا ببعض أساليب هؤلاء المتحامقين.

"قال أبو العبر: كنا نختلف[1] – ونحن أحداث – إلى رجلٍ يعلمنا الهزل فكان يقول: أول ما تريدون قلب الأشياء. فكنا نقول إذا أصبح: كيف أمسيت؟ وإذا أمسى: كيف أصبحت؟ وإذا قال لأحدنا: تعال إلىّ تأخر إلى خلف، وإذا قال اذهب سعى بين يديه.

وكانت له أرزاق يعمل كتابتها فى كل سنة، فعملها مرة – وأنا معه – فلما فرغ من التوقيع فيها، وبقى الختم قال لى: أَتْرِبْها[2] وهاتها. قال: فمضيت وصببت عليها ماءً، فبطلت. فلما رآها قال لى: ويلك! ما صنعت؟ قلت: ما نحن فيه طول النهار من عكس الأشياء. فقال: والله لاصحبتنى، أنت أجهل منى وأحمق"[3].

وفى هذا الخبر نتعرف على إحدى طرق أبى العبر فى التحامق لإضحاك الناس، فقد سأل رجل "أبا العبر عن هذه المحالات التى يتكلم بها، أى شىء أصلها؟ قال: أُبَكِّرُ، فأجلس على الجسر، ومعى دواة ودرْج[4]، فأكتب كلَّ شىء أسمعه من كلام الذاهب والجائى والملاحين والمكارين، حتى أملأ الدَّرج من الوجهين، ثم أقطعه عَرضًا وطولاً وألصقه مخالفًا، فيجئ منه كلام ليس فى الدنيا أحمق منه"[5].

---

(١) نختلف إليه: نزوره من وقت لآخر.

(٢) أتربها: اجعل عليها ترابًا ليجف ما بها من حبر.

(٣) نثر الدر، ٢٩٧/٧.

(٤) ما يكتب فيه.

(٥) الأغانى، ٢٠٠/٢٣.

ونرى لأبى العبر رفيقًا آخر يمارس معه التحامق هو محمد بن حكيم الكنتجى، كما نرى فى هذه الرواية.

"وأما أبو العبر ومحمد بن حكيم الكنتجى فقد كانا يتعمدَان المقلوب رقاعة ومجانة، وأبو العبر هو الذى كتب لبعض أصحابه: أمَّا قبل فَأَحْكِمْ بنيانك على الرمل، واحبس الماء فى الهواء، حتى يغرق الناس من العطش؛ فإنك إذا فعلت ذلك أمرت لك كل يوم بسبعة آلاف درهم ينقص كل درهم سبعة دوانيق"[1].

ولا شك أن هناك متحامقين آخرين غير أبى العبر ومحمد بن حكيم الكنتجى، وهم بلا شك من مضحكى عصرهم، ووجودهم بلا شك يحمل دلائل سياسية واجتماعية، فهم لم يظهروا إلا بعد أن قرَّب إليه المتوكل المضحكين وأصحاب الملاهى، فوجدوا أنهم بتحامقهم سوف يطلبون للضحك منهم عند المتوكل وعند غيره.

وأيضًا لعل تحامق هؤلاء المتحامقين، يعطينا انطباعًا عن تغيّر بعض الأوضاع فى عصر المتوكل – خاصة – فقد بدأت الدولة العباسية القوية فى الضعف، وأخذت عوامل الانهيار تأكل فيها، وصار التحامق والعبث هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع الأوضاع الغريبة التى جدَّت على الناس مع ضعف الدولة العباسية.

وها هى ذى رواية تؤكد صحة ما ذهبنا إليه فى كثرة المتحامقين خاصة فى عصر المتوكل.

---

(١) الدوانيق: مفردها دانق، وانظر: النادرة فى: جمع الجواهر، ص٨١.

"وحدَّثنى مُدرك بن محمد الشيبانى، قال: حدثنى أبو العنبس الصيمرى، قال قلت لأبى العبر ونحن فى دار المتوكل: ويحك! أيش يحملك على هذا السُّخْف الذى قد ملأت به الأرض خطبًا وشعرًا وأنت أديب ظريف مليح الشعر؟ فقال لى: يا كشخان، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت؟ أنت أيضًا شاعر فهم متكلم فلم تركت العلم، وصنعت فى الرقاعة نيفاً وثلاثين كتابًا، أحب أن تخبرنى لو نفق العقل أكنت تقدم على البحترى، وقد قال فى الخليفة بالأمس:

عـــن أى ثغـــر تبتســـم وبـــأى طـــرف تحـــتكم

فلما خرجت أنت عليه وقلت:

فـــى أى سَـــلْحٍ تـــرتطمْ وبـــأى كـــف تلـــتطم

أدخلـــت رأســـك فـــى الـــرحم وعلمـــت أنـــك تنهـــزم

فأعطيتَ الجائزة وحُرم، وقربتَ وأبعد"[1].

المخنثـــون

والمخنثون طائفة من المضحكين ظهرت فى العصر العباسى الأول، وهم يتصفون بأنهم أشبه ما يكونون بممثلين هزليين[2]، يستخدمون خلال تمثيلهم الهزلى وسائل مختلفة فى الإضحاك كالتعليق الساخر، والحركات المضحكة.

---

(١) الأغانى، ١٩٨/٢٣.

(٢) المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٩٤.

وقد كان المخنث المضحك شخصية ثانوية فى بلاط المعتصم، ولكنه أصبح جزءًا أساسيًّا من مجالس المتوكل[1].

ويعد عبادة المخنث أشهر المخنثين المضحكين الذين ظهروا فى بلاط المتوكل.

وها هى ذى بعض الأخبار لعبادة المخنث مع المتوكل تدل على ظرفه، وقدرته العالية على تفجير الفكاهة.

أمر المتوكل فى أحد مجالسه بإلقاء عبادة المخنث فى بعض البرك فى أيام الشتاء، "فابتل وكاد يموت بردًا، ثم أخرج من البركة وكسى، وجُعل فى ناحية من المجلس، فقال له: يا عبادة، كيف أنت؟ وما حالك؟" قال: "يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة"، فقال له: "كيف تركت أخى الواثق؟" قال: "لم أجز بجهنم". فضحك المتوكل وأمر له بصلة"[2].

ودائمًا نرى عبادة المخنث حاضرًا بتعليقه الساخر المضحك كما فى هذا الخبر مع المتوكل.

ويروى أن المتوكل قال لجلسائه يومًا: "ما الذى نقم المسلمون على عثمان؟ قالوا: أشياء منها: أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله ﷺ بمرقاة، ثم قام عمر دون أبى بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عبادة: ما أحد أعظم منّة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه صعد ذروة المنبر فلو أنّه كلما قام خليفة نزل عمّن تقدّمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله"[3].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٣.

(٢) العقد الفريد، ٨/١٣٤.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٣٣- ١٣٤

ويستخدم عبادة المخنث فى إضحاكه وسيلة الضرب والشتم للنيل من بعض من يضايقونه أو يسيئون إليه، كما نرى فى هذا الخبر.

"قال المتوكل لعبادة: رفع إلىَّ أنك ضربت إمام مسجد، وإن لم تأت بعذر أدبتك. قال: يا أمير المؤمنين، كنت قد خرجت فى بعض الأيام لحاجة لى غلسًا[1]، فمررت بمسجد قد أذن فيه لصلاة الفجر، فقلت: أقضى هذه العبادة، ثم أتوجه لحاجتى، فدخلت، فأقام المؤذن، ودخلنا فى الصلاة، فابتدأ الإمام فقرأ الفاتحة، وافتتح سورة البقرة، فقلت: لعله يريد أن يقرأ آيات من هذه السورة، فانتهى إلى آخرها فى الركعة الأولى، ثم قام إلى الثانية، فلم أشك فى أنه يقرأ مع الفاتحة سورة الإخلاص.

فافتتح سورة آل عمران حتى أتمها، ثم أقبل بوجهه على الناس، وقد كادت الشمس تطلع. فقال: أعيدوا صلاتكم – رحمكم الله – فإنى لم أكن على طهارةٍ، فقمت إليه وصفعته. فضحك المتوكل من ذلك"[2].

وفى النادرة التالية نرى مع عبادة المخنث مخنثًا آخر فى رحاب المتوكل، وهذا المخنث هو قطاطة المخنث، وكان طويلاً جدًّا، ويستغل عبادة طوله فى السخرية منه فى هذه النادرة بل إنه يصفعه ساخرًا منه فيها، ويضحك الخليفة المتوكل من تصرف عبادة ومن تعليقه فيها.

"وركب المتوكل زلالاً ومعه قطاطة وعبادة المخنثان، وكان قطاطة طويلاً جدًّا، فجعل يغنى إلى أن هبت ريح شديدة وثارت دجلة، فأمسك عن الغناء.

---

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(٢) نثرالدر، ٣١٣/٧ – ٣١٤.

فقال له المتوكل: ما لك؟ قال: يا سيدى؛ أفزعنى ما أرى، فرفع عبادة يده وصفعه، وقال: يابن الفاعلة! تتوهم أن فى دجلة ماءً يطولك"[1].

(١) جمع الجواهر، ص٣٤٠.